

(٢٣)

## كشف عورات غلاة الصوفية ١

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله: قال المؤلف غفر الله له ((وأن مما نعتقده: أن العبد ما دام أحكام الدار جارية عليه، فلا يسقط عنه الخوف والرجاء، فكل من ادعى الأمن فهو جاهل بالله، وبما أخبر به عنه نفسه {فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} [الأعراف: ٩٩]، وقد أفردت كشف عوارت من قال بذلك))  
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

لازال الشيخ رحمه الله يسوق كلام ابن الخفيف نقل عنه نقلاً طويلاً. والحق أن هذه المنقولات تصلح أن تكون متناً يعنى به يدرس ويقرر، فإنه كلام حسن جميل ويرد من زاغ في باب التصوف إلى السنة المحضة. فمما سطره:

((وأن مما نعتقده: أن العبد ما دام أحكام الدار جارية عليه، فلا يسقط عنه الخوف والرجاء)) إي والله ما دام أن الإنسان يتردد نفسه في صدره وتجري عليه أحكام الدار - أي الدنيا - فإنه لا يسقط عنه الخوف والرجاء. يجب أن يكون خائفاً راجياً يخاف عذابه ويرجو رحمته. وكل من ادعى الأمن فهو جاهل بالله. { أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ } (الأعراف: ٩٩). فمن ادعى من هؤلاء الصوفية أنه وصل لدرجة الأمن وأنه آمن جانب الله ﷻ فقد تلاعب به الشيطان. فلا يزال الإنسان بين الخوف والرجاء حتى تخرج الروح من الجسد. ولهذا يذكر في القصة سواء صحت أو لا فإنها ذات معنى - أن الإمام أحمد يروى أنه لما حضرته الوفاة جعل ابنه يلقنه ويقول "يا أبت قل لا إله إلا الله" فجعل يقول "بعد بعد بعد"، حتى إنه خشى عليه ابنه وضاق صدره، فلما أفاق من غشيته قال "يا أبت إني كنت ألقنك وتقول بعد بعد"، قال "يا بني قد عرض لي الشيطان وقال فتني يا أحميد، فكنت أقول له بعد بعد"، يعني حتى تفارق الروح البدن. فلا يزال الإنسان يخشى على نفسه ويرجو رحمة ربه حتى ما دامت أحكام الدار الدنيا جارية عليه. فهذا مما تلاعب به الشيطان في عقول بعض الصوفية وتبرأ ابن خطيب من هذه المقالة أن تنسب إلى جماعته. وقال ((وقد أفردت كشف عوارت من قال بذلك)).

((ونعتقد: أن العبودية لا تسقط عن العبد ما عقل وعلم ما له وما عليه (فيبقى) على أحكام القوة والاستطاعة، إذ لم يسقط ذلك عن الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين، ومن زعم أنه قد خرج من رق العبودية إلى فضاء الحرية بإسقاط العبودية والخروج إلى أحكام الأحدية المبدئية بعلائق الآخريّة، فهو كافر لا محالة، إلا من اعتراه علة، أو رافة فصار معتوهاً، أو مجنوناً، أو مبرسماً وقد اختلط في عقله، أو لحقه غشية، ارتفع عنه أحكام العقل، وذهب عنه التمييز والمعرفة، فذلك خارج عن الملة مفارق للشريعة)) مراده أن المنعم عليهم على اختلاف طبقاتهم الأربع لم تسقط عنهم الواجبات والتكاليف. والمقصود. حفظكم الله. أن الشيخ نبه لزلة خطيرة كبيرة وقع فيها هؤلاء الزنادقة وهي اعتقادهم أن العبودية تسقط عن البعد إذا بلغ مرتبة معينة حتى إنهم ليستدلون بقوله تعالى {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} (الحجر: ٩٩) فجعلوا حتى للغاية وجعلوها غاية دنيوية وليست غاية خروج الروح من البدن والموت. وقالوا: إذا بلغ السالك درجة اليقين سقطت عنه الواجبات وشهد الحقيقة. وهذا لا شك من أعظم ضلالات الصوفية في باب العبودية ولعله بلغكم أننا بإذن الله سنشرح كتاب العبودية لشيخ الإسلام رحمه الله يوم الجمعة القادم وقد تعرض لهذا المعنى عند الصوفية وهو زعمهم أن المرء تسقط عنه الأحكام لو

بلغ درجة معينة فالصحيح أن أحكام القوة والاستطاعة ما دامت باقية متمكن فيها ويعقل ويقدر فإن الأحكام جارية عليه. ولا تسقط عن أحد مهما بلغت درجته. والإشكال الذي ذكره الأخ الآن وجهه أن الشهيد لا يعلم أنه شهيد إلا بعد موته فكيف يقال أنه قد سقط؟ فالمقصود جنس الشهداء كقوله ﷺ: اسكن أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان" فحكم لهم النبي ﷺ بالشهادة وهم بعد لم يبلغاها.

وهذه الأمور يقول من زعم هذا وأنه خرج من ريق العبودية لفضاء الحرية إلى غير هذه من العبارات المزخرفة المسجوعة فهذه صنعة هؤلاء الصوفية يزخرفون القول ويهرجون الكلام ولا يقول بهذا إلا من اعتلاه علة أو لوثه عقلية أو كان مبرسماً. والمبرسم عرفها عندي بذات الجنب ولا أظن أنه المراد والراجح أنها علة عقلية.

((ومن زعم الإشراف على الخلق حتى يعلم مقاماتهم ومقدارهم عند الله بغير الوحي المنزل من قول الرسول صلى الله عليه وسلم فهو خارج عن الملة، ومن ادعى أنه يعرف ما قال رسول الله ﷺ فقد باء بغضب من الله. ومن ادعى أنه يعرف مآل الخلق ومنقلبهم، وأنهم على ماذا يموتون ويختتم لهم، بغير الوحي من قول الله وقول رسول صلى الله عليه وسلم فقد باء بغضب من الله.))

واضح أن المؤلف رحمه الله على علم بشطحات الصوفية لأنه أكثر من قول "ومن زعم"، "ومن زعم"، "ومن زعم" فدل على أنه يعلم أنه قد وجد في المنتسبين للصوفية من ادعى هذه الدعاوى العريضة. وقد تصدى رحمه الله لإبطاله. فدعاوى العلم بالغيب باطلة فإن من المحكم قول الله تعالى {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} (النمل: ٦٥) وكل من ادعى العلم بالغيب فقل له بملء فيك "أنت كاذب" لأنه لا يعلم الغيب إلا الله، لا يعلم ما يكون في غد إلا الله {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (لقمان: ٣٤) فهذه مما اختص به تعالى وضمن به عن خلقه. فهذه استدراقات منه رحمه الله على شطحات الصوفية.

ثم إنه قال ((«الفراسة» حق على أصول ذكرناها، وليس ذلك مما سميناها في شيء.)) مسألة الفراسة مسألة أخرى لأنه لما ذكر ادعاء بعضهم للغيب وأنكر ذلك ورده وأن ذلك مما يختص الله تعالى ﷻ به، أتبع ذلك بالتنبيه على أن الفراسة باب آخر. والفراسة هي: "ملكة يؤتاها بعض الناس فيستدلون بقرائن الأحوال على أمر ما فهي نوع من ذكاء خاص"، ولا أنه كشف أو إحاء أو غير ذلك مما يدعيه الصوفية من عباراتهم. الفراسة معروفة. وقد وصف بها بعض العلماء كالشافعي رحمه الله. فبعض الناس يكون ملهمًا محذًا. وقد قال ﷺ "لقد كان فيمن كان قبلكم محدثون" يعني تحدثه نفسه يقع في نفسه المعنى بناء على قرائن معينة، "فإن يكن من أمي فعمر" المحدثين الذين يلهمون ويقع في نفوسهم ويقع معنى من المعاني الصحيحة فهذه هي الفراسة. أما من تدرع بالفراسة ليدعي علم الغيب كما نسمع أحيانًا أن فلان يقول وهو في مجلسه فلان من الناس الآن يفعل كذا وكذا، هذه ليست من الفراسة في شيء - إلا أن يكون له رأي من الجن يخبره مثلاً بما يجري. وهذا ليس من علم الغيب بل الشهادة، كما لو أخبره أحد جالس عند ذلك الشخص بما يقع عنده. وإما أنه يكون متهوكًا متخبطًا يعني مجازف بالكلام. ففرق بين فراسة وادعاء علم الغيب. فالفراسة ليست مما يطلب بالدرس ويحصل بالكسب. لا. هي ملكة ومنحة من الله ﷻ يؤتاها بعض الناس ويتفاوتون فيها وقد تصيب وقد تخطئ.

((ومن زعم أن صفاته قائمة بصفاته . ويشير في ذلك إلى غير آية العظمة والتوفيق والهداية . وأشار إلى صفاته عز وجل القديمة، فهو حلولي قائل باللاهوتية والالتحام، وذلك كفر لا محالة.)) هذه كلمة فاجرة باثرة والعياذ بالله. يقول صفات الله ﷻ قائمة بصفاته يعني كأنما تستمد من صفات الله. فيزعم هذا الزاعم المهووس أن ما يقع له من علم وما يقع له من قدرات وغيره أنها صفات الله ﷻ قد قامت فيه. فقال ((هذا حلولي)) والحلوي هو من زعم أن الله ﷻ حل في المخلوق، كما قالت النصرارى في حق المسيح عيسى ابن مريم أن اللاهوت تجسد في الناسوت وأن الله . ﷻ وتعالى عن قولهم علواً كبيراً. حل في جسد المسيح. فهذه مقالة الحلولية وأجمع أهل الإسلام على كفرهم. ولم يقل بذلك من المنتسبين للإسلام إلا زنادقة الصوفية. يقول قائلهم

نحن روحان حَلَّلنا بدنا

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

و إذا أبصرتُه أبصرتنا

فإذا أبصرتني أبصرتُه

ويلبس أحدهم الجبة ويقول "ما في الجبة إلا الله" مخاطباً نفسه. ويسوون قول فرعون { أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى } [النازعات: ٢٤] يقولون كان معذوراً لأنه حل فيه الله ﷻ فقال هذه المقالة. لغير ذلك من الترهات التي تقشعر لها الأبدان ويقف لها شعر الرأس. يقولون قولاً عظماً سوغه لهم الشيطان. لكن لو قصد بذلك العصمة والتوفيق والهداية وأن ما حصل له كان بتوفيق الله وعصمته يعني شيء خلقه الله فيه من التوفيق والعصمة والهداية - فلا شك أنه حق لأنه من فضل الله. فكل ما يحصل للإنسان من توفيق وقدرة وتمكين وغيره من فضل الله. قال هذا من فضل ربي.

((ونعتقد أن الأرواح كلها مخلوقة، ومن قال: إنها غير مخلوقة فقد ضاهى قول النصرارى . النسطورية . في المسيح، وذلك كفر بالله العظيم.)) هذه من المقالات الباطلة وهي دعوى أن الأرواح غير مخلوقة. ولا شك أن الله ﷻ خالق كل شيء وهذا من المحكم الذي تمسك به. {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الزمر: ٦٢] فيدخل في لفظ كل شيء جميع مفرداتها، ولا يقول بقدوم الأرواح إلا الفلاسفة الذين قالوا بقدوم العالم وخلود العالم هم الذين يقولون بهذه المقالة. أما أهل الحق والإيمان فيعلمون أن كل ما سوى الله محدث وكل شيء يزول. لأن الله تعالى هو الأول فليس قبله شيء وهو الآخر ليس بعده شيء ﷻ. لهذا قال ((ومن قال أنها غير مخلوقة فقد ضاهى قول النصرارى النسطورية)) النسطورية هذا نسبة إلى نسطور وهو أحد كهان النصرارى حيث وقع بين النصرارى افتراقات واسعة. فحينما رفع عنهم الاضطهاد زمن قسطنطين زمن سنة ٣٠٠ م بعد رفع المسيح بـ ٣٠٠ عام وعقد لهم مجمع يقال له مجمع نيقية في تركيا في الأناضول سنة ٣٢٥ م ورسم عقائد بولس الشركية من الحلول والتجسد والتثليث وغير ذلك، صار النصرارى تفرقوا في ذلك المجمع بين لاعن وملعون كما قال ابن القيم، يلعن بعضهم بعضاً. ثم عقدوا بعد ذلك عدة مجامع أخرى مجمع في الأسكندرية ومجمع في أنطاكية وغيرها وتفرقوا وكان من بين هذه الفرق النسطورية، وهي من الفرق الأرثوذكسية المشرقية. فهؤلاء يقولون بقدوم الروح - روح المسيح. فهذا قد شابه قولهم. فمن قال أن الأرواح غير مخلوقة فقد ضاهى قول النصرارى النسطورية في المسيح وهذا كفر بالله ﷻ.

((ومن قال: إن شيئاً من صفات الله عز وجل حالٌ في العبد، وقال بالتبويض على الله فقد كفر)) هذا يشبه ما سبق من قال أن صفات الله منها شيء حال في العبد فقد كفر ومن زعم أن الله أجزاء وأبعاض فقد كفر. فالله ﷻ له ذات لا

تشبه الذوات ولا تفتقر صفاته بعضها لبعض كما تفتقر صفات المخلوقين بعضها لبعض. فالله ﷻ ليس كمثل شيء. فمن اعتصم بالسنة والقرآن سلم ومن حاد فإنه قد عرض نفسه للهلكة.

((والقرآن كلام الله ليس بمخلوق ولا حال في مخلوق، وأنه كيف ما تلى وقرأ وحفظ، فهو صفة الله عز وجل، وليس الدرس من المدرس، ولا التلاوة من المتلو، لأنه ﷻ بجميع أسمائه وصفاته غير مخلوق، ومن قال بغير ذلك فهو كافر.))

هذه مسألة القرآن وهي مسألة كبيرة عظيمة شريفة جرى فيها خلف كبير وافترق الناس فيها فرق شتى. وأهل السنة يشتون القرآن كلام الله. فهو كلامه كيفما تصرف سواء كتب في المصاحف أو تلى في الآذان أو سجل في المسجلات. فهو لا يخرج عن كونه كلام الله. ففرق بين التلاوة والمتلو. التلاوة فعل العبد والمتلو كلام الرب. السماع فعل العبد والمسموع كلام الرب. الكتابة فعل العبد والمكتوب كلام الرب. التسجيل فعل العبد والمسجل كلام الرب. هذا معنى قوله ((وأنه كيف ما تلى وقرأ وحفظ، فهو صفة الله عز وجل)) ولهذا قال تعالى {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} فالحفظ فعل العبد حينما يستذكر ويردد فهو فعل العبد والحفوظ كلام الرب. فيجب التفريق بين المقامين فإن من الناس من قد غلاظن أن القرآن لو كتب في المصحف وجلد بالجلد فإن هذا الورق والجلد ليس مخلوقًا. هذا غلط وغلو في الإثبات. لكنه يقال فرق بين الكتابة والمكتوب والحفظ والحفوظ والتلاوة والمتلو والسماع والمسموع. فدائمًا الكلام ينسب إلى من قاله مبتدأ. ولأجل ذا لو استجار بنا مشرك ماذا نصنع له؟ نسمعه كلام الله، { وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ } (التوبة: ٦) ماذا نصنع؟ ندعو قارئًا فيقرأ، فيكون المشرك قد سمع كلام الله بنص كتاب الله. إذن هذا المسموع كلام الله مع أن الذي تلفظ به هو العبد فالتلفظ مخلوق وأما الملفوظ فهو كلام الله تعالى. وهذا سائغ حتى في غير ما ينسب لله. كما تمثل دومًا لو إنسانًا قال:

لِحَوْلَةِ أَطْلَالٍ بِرُقَّةٍ تَهْمَدِ  
تَلُوْحُ كِبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

فقيل كلام من هذا؟ قيل طرفه بن العبد ولا قيل كلام المنشد؟؟ قيل طرفه بن العبد؛ لأن الكلام يضاف لمن قاله مبتدئًا. ومثله لو صورنا خط فلان وأبرزناه في ورقة وقيل خط من؟ قيل خط فلان.

((ونعتقد: أن القراءة الملحنة بدعة وضلالة)) أراد بها اللحن المذموم التطريب المذموم الذي يخرج القرآن عن أدائه

الشرعي. والنبي ﷺ أخبر أنه سيأتي أقوام يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم مفتونة قلوبهم وقلوب من يعحبهم شأهم وأنهم يطربون بالقرآن كلحون الفساق وهو أمر منهى عنه. ويوجد الآن ما يسمى المقامات التي تنبو على السمع فيها نوع ترقيص لا يليق بالقرآن العظيم. فقد أمر ﷺ أن يقرأ القرآن بحزونة يعني يستجاش فيه البكاء والتأثر. فهذا هو المطلوب في القراءة أن تكون شجية لأنه أدعى لحصول الاعتبار. أما ما يفعله بعضهم من قراءات ومقامات مستنكرة فهي القراءة الملحنة المذمومة فيجب الحذر منها وعدم ترويجها. فهي تخرج القرآن من سمته ورونقه. حتى ولو كان من المقامات التي لا تليق بالقرآن فيجب أن يتخلص من هذا الأداء ويقرأ القرآن بحزونة. ولو تعلمه يتركه لأنه علم فاسد. فلو قرأ بطريقة لا تليق بالقرآن ومقام القرآن فيترك هذا الأداء ويقرأ قراءة عادية - عافانا الله وإياكم. وقد سمعنا وسمعتم من هذه القراءات التي تشمئز منها النفوس. والقرطبي رحمه الله ذكر في مقدمة التفسير ويبدو أن الأمر قديم موجود - ذكر في مقدمته للتفسير وذكر مسألة التطريب وخلاف العلماء فيها، ومثل لهذا قال: كما يوجد في المقارئ المصرية - هكذا في زمنه. فكان يوجد قراء يتقربون للسلطين بأنواع التطريب فدم القرطبي هذا ذمًا عظيمًا.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.